بان ويبين ووانغ تشونغ جيه: فك رموز وفاة تساو تساو

"تساو تساو، لقطة من مسلسل الممالك الثلاث التلفزيوني الجديد"

تشير السجلات التاريخية إلى أن تساو تساو كان يعاني من الصداع، وهي حالة عذّبته وتسببت له بآلام شديدة في سنواته الأخيرة. وفي محاولة منه لعلاج صداعه، يُقال إنه قتل الطبيب الشهير هوا تو. لكن هذه الرواية قوبلت بالتشكيك؛ فما إذا كان تساو تساو يعاني حقًا من الصداع، وما إذا كان قد أعدم هوا تو بالفعل لهذا السبب، لا يزال لغزًا تاريخيًا. لحسن الحظ، أن الحفريات الأثرية في ضريح تساو تساو قد حلت هذه المسألة إلى حد كبير، ليس فقط بإثبات أن تساو تساو كان يعاني بالفعل من الصداع، بل أيضاً بتحديد السبب الحقيقي لمرضه.

السجلات التاريخية المتعلقة بصداع تساو تساو

تساو تساو وهوا تو، قصص مصورة من رومانسية الممالك الثلاث

في الفصل الثامن والسبعين من رواية "رومانسية الممالك الثلاث" المعنون "الطبيب الإلهي الذي عالج مرضًا مرتبطًا بالرياح يموت، ومصير البطل الغادر ينتهي بوصيته الأخيرة"، يُذكر أنه بعد دفن قوان يو، كان تساو تساو يراه كل ليلة عندما يغمض عينيه، مما أصابه بخوف شديد. استشار مسؤوليه، فقالوا له: "القصر القديم في لويانغ مسكون بالأرواح الشريرة، لذا ينبغي علينا بناء قصر جديد لك." فقال تساو تساو: "أريد

بناء قصر باسم جيانشي. لكن للأسف، ينقصني حرفي ماهر." فأوصى جيا شو بالحرفي الماهر سو يويه، قائلاً إنه قادر على المهمة. ومع ذلك، عند اختيار مواد البناء، وعندما قرر قطع شجرة إجاص كبيرة بجانب معبد يويلونغ، نشأت مشكلة. لم يستطع الحرفيون نشر الشجرة بمنشار، ولا قطعها بفأس، ولم ينجحوا في إسقاطها. شعر تساو تساو بعدم الاقتناع وذهب للتحقيق بنفسه. وعندما سحب سيفه وحاول قطعه، سمع "صوت رنين واضح، وتناثر الدم على جسده بالكامل"، مما ترك تساو تساو مندهشًا ومرعوبًا. عند عودته إلى المنزل، عانى تساو تساو من كوابيس تلك الليلة. وعندما استيقظ، شعر "بصداع لا يُطاق. فأمر على وجه السرعة بالبحث عن أطباء ماهرين، لكن لم يستطع أحد علاجه." أوصى هوا شين بالطبيب الشهير هوا تو. بعد فحص نبض تساو تساو، قال له هوا تو: "صداع جلالتك ناتج عن الرياح. أصل المرض في رأسك؛ البلغم الريحي لا يمكن طرده. تناول الدواء لن يعالجك. لدي طريقة: أولاً، اشرب مغليًا مخدرًا، ثم استخدم فأسًا حادًا لفتح رأسك وإزالة البلغم الريحي. عندها فقط يمكن استئصال جذر المشكلة." اشتبه تساو تساو في أن هوا تو يتآمر ضده للانتقام لمقتل قوان يو، فأمر بسجنه وتعذيبه بشدة. وفي النهاية، أُعدم هوا تو.

حقيقة أن تساو تساو كان يعاني من الصداع خلال حياته مسجلة أيضًا في السجلات التاريخية الرسمية. على سبيل المثال، يذكر "سيرة هوا تو" في كتاب "هان اللاحقة":

"سمع تساو تساو بذلك واستدعى تو، الذي كان دائمًا إلى جانبه. كان تساو تساو يعاني من الصداع والدوار، وكان وخز تو بالإبر يشفيه فورًا... كان تو شرير الطبع، صعب الإرضاء، ويستحي أن يكون طبيبًا. كما اشتاق للعودة إلى منزله، فطلب من تساو تساو أن يعيده لجلب وصفاته، مدعيًا مرض زوجته. لم يعد لعدة أيام. كتب له تساو تساو مرارًا وأمر المسؤولين المحليين بإرساله، لكن تو، معتمدًا على مهاراته وتجنبًا للمتاعب، رفض المجيء. غضب تساو تساو وأرسل من يحقق. اكتشفوا أن زوجته تدعي المرض، فاعتقلته واستجوبه في السجن. وتحت الاستجواب، اعترف. توسل شون يو: 'مهارات تو الطبية ممتازة حقًا، وأرواح البشر على المحك. ينبغي العفو عنه.' لم يستمع تساو تساو وأمر بقتله. قبل وفاته، أخرج تو درجًا وأعطاه لموظف السجن قائلاً: 'هذا يمكن أن ينقذ الأرواح.' لكن الموظف، خوفًا من القانون، لم يجرؤ على قبوله. لم يجبره تو على قبوله وطلب نارًا لإحراقه."

أما "سجلات الممالك الثلاث، كتاب وي، سيرة هوا تو" فتقول:

"عندما سمع الإمبراطور تايزو بذلك، استدعى تو، وكان دائمًا إلى جانبه. كان تايزو يعاني من الصداع؛ وكلما تفاقم، كان يعاني من الارتباك والدوار. كان تو يضع الإبر في حجابه الحاجز، وكان الصداع يزول فورًا. لاحقًا، عندما اعتنى تايزو بنفسه بمرضه، ازداد سوءًا، وأوكل تو برعايته الحصرية. قال تو: 'هذه الحالة يصعب علاجها في المستقبل القريب؛ فالعلاج المستمر يمكن أن يطيل حياته.' اشتاق تو للعودة إلى منزله بعد غياب طويل، فقال: 'سأعود مؤقتًا فقط عندما أتلقى رسالة من المنزل.' وعند وصوله إلى المنزل، ادعى أن زوجته مريضة وتوسل مرارًا لتمديد إقامته. استدعاه تايزو مرارًا برسائل وأمر المسؤولين المحليين بإعادته. اعتمد تو على مهاراته وكرهه للعمل، وما زال يرفض العودة. غضب تايزو وأرسل من يحقق. إذا كانت زوجته مريضة حقًا، أعطاه أربعين مكيالاً من الفاصوليا الصغيرة ومنحه إجازة ممتدة؛ أما إذا كان يكذب، فيُعتقل ويعاد." نُقلت القضية إلى سجن شو للاستجواب. توسل شون يو: "مهارات هوا تو الطبية استثنائية حقًا، والأرواح على المحك. ينبغي العفو عنه." رد الإمبراطور تايزو: "لا تقلق، هل سيكون هناك عدم وجود مثل هؤلاء الأشرار في العالم؟" وهكذا، تم اختبار هوا تو. على فراش موته، أعطى هوا تو درجًا لحارس السجن قائلاً: "هذا يمكن أن ينقذ الأرواح." لكن الحارس، خوفًا من القانون، رفض قبوله، ولم يصر هوا تو، وطلب نارًا لإحراقه. بعد موت هوا تو، استمر صداع الإمبراطور تايزو. قال الإمبراطور تايزو: "كان بإمكان هوا تو

علاج هذا. هذا الشرير يستغل مرضي لتعزيز مكانته. ومع ذلك، حتى لو لم أقتل هذا الابن، لما كان ليستأصل هذا الجذر من أجلي." لاحقًا، عندما مرض ابنه الحبيب تسانغ شو مرضًا خطيرًا، تنهد الإمبراطور تايزو: "أنا نادم على قتل هوا تو، مما تسبب في موت هذا الطفل prematurely."

بناءً على السجلات المذكورة أعلاه، من الواضح أن تساو تساو كان يعاني من الصداع قبل وفاته. ومع ذلك، فإن الروايات في التاريخين الرسميين اللاحقين ليست مفصلة أو محددة أو حية مثل تلك الموجودة في "رومانسية الممالك الثلاث". لا تسجل "رومانسية الممالك الثلاث" وقت الحدث فحسب، بل تذكر أيضًا أن السبب المباشر لوفاة هوا تو كان محاولته إجراء عملية فتح الجمجمة لتساو تساو، مما أثار شكوك تساو تساو. علاوة على ذلك، يُعتقد أن هذا كان سببًا رئيسيًا لوفاة تساو تساو لاحقًا. تختلف هذه التفاصيل بشكل كبير عن الروايات في التاريخين الرسميين اللاحقين.

علاوة على ذلك، تذكر رواية "رومانسية الممالك الثلاث" أن هوا شين هو من أوصى الطبيب الأسطوري هوا تو إلى تساو تساو. ومع ذلك، وفقًا لـ "سجلات الممالك الثلاث، كتاب وي، سيرة هوا تو"، كان هوا تو من مقاطعة تشياو في ولاية بي، مسقط رأس تساو تساو نفسه. وبالنظر إلى معرفة تساو تساو الواسعة وسمعة هوا تو في ذلك الوقت، فمن المستحيل ألا يكون على علم بهوا تو. لذلك، فإن قصة توصية هوا شين بهوا تو إلى تساو تساو لا أساس لها من الصحة.**

تساو تساو وهوا تو، لقطات من المسلسل التلفزيوني "رومانسية الممالك الثلاث"

تقديرات السجلات التاريخية للفترة التي عانى فيها تساو تساو من الصداع

نعتقد أن قتل تساو تساو لهوا تو لم يكن ليحدث بعد وفاة قوان يو. السبب الرئيسي هو أنه في السجل التاريخي الرسمي، "سجلات الممالك الثلاث"، في سيرة هوا تو، قال تساو تساو: "لاحقًا، عندما مرض ابني الحبيب تساو تشونغ مرضًا خطيرًا، تنهد تساو تساو قائلاً: 'أنا نادم على قتل هوا تو، مما تسبب في موت هذا الطفل prematurely.'" مرض تساو تشونغ في عام جيانآن 13 (208 م) وتوفي بعد فترة وجيزة. لذلك، لا بد أن هوا تو قُتل قبل وفاة تساو تشونغ؛ وإلا لما كان تساو تساو ليقول مثل هذا الكلام. من أجل الحبكة الدرامية، غيّر لو غوانتشونغ، مؤلف "رومانسية الممالك الثلاث"، توقيت ومكان الأحداث بشكل كبير، مثل تغيير الموقع من شوتشانغ إلى لويانغ، وتأخير التوقيت من ما قبل جيانآن 13 إلى جيانآن 24 (219 م).

هذه النقطة حاسمة لدراسة التاريخ الطبي لتساو تساو. إذا حدث هذا الحدث، وفقًا لـ "رومانسية الممالك الثلاث"، في عام جيانآن 24 (219 م)، أي قبل أكثر من عام بقليل من وفاة تساو تساو، فإن صداع تساو تساو كان حديثًا نسبيًا. علاوة على ذلك، كان شون يو قد توفي بالفعل، مما يجعل من المستحيل عليه أن يكون قد نصح تساو تساو أو توسل لأجل هوا تو كما هو مسجل في "كتاب هان اللاحقة" و"سجلات الممالك الثلاث". ومع ذلك، وفقًا لـ "سجلات الممالك الثلاث"، لا يمكن أن يكون هذا الحدث قد وقع إلا قبل عام جيانآن 13 (208 م)، عندما كان شون يو لا يزال على قيد الحياة، وكان تساو تشونغ لم يمرض أو يمت بعد. علاوة على ذلك، كان تساو تساو قد تمت ترقيته بالفعل إلى منصب المستشار، ويمتلك سلطة كبيرة، وهو ما يتوافق مع سجلات انخراط تساو تساو الشخصي في شؤون الحكومة. وبالتالي، كل شيء منطقي ومتوافق مع الأحداث التاريخية.

إذا كانت الرواية الأخيرة صحيحة، فهذا يثبت أن تاريخ معاناة تساو تساو من الصداع كان طويلاً جدًا. إذن، في أي سنة بالضبط أصيب تساو تساو بالمرض؟ يمكننا استخلاص استنتاج عام من السجل في "سجلات الممالك الثلاث، كتاب وي، سيرة هوا تو": "لاحقًا، اعتنى به الإمبراطور تايزو شخصيًا، لكن مرضه ازداد سوءًا، وأوكل هوا تو برعايته الحصرية." هذا يشير إلى أنه كان يعاني بالفعل من هذا المرض قبل ترقيته إلى منصب المستشار في السنة الثالثة عشرة من جيانآن (208 م). فقط بعد أن تولى منصب المستشار، تفاقمت حالته بسبب عبء العمل الثقيل في الشؤون الحكومية والعسكرية، ومن هنا جاء التسجيل "بتفويض هوا تو برعايته الحصرية."

تساو تساو وهوا تو، لقطات من المسلسل التلفزيوني "رومانسية الممالك الثلاث"

ما هو الصداع؟ التقدير المرضي للفترة التي عانى فيها تساو تساو من الصداع.

إذن، ما هو الصداع؟ وما الذي سبب صداع تساو تساو؟ بعد موت هوا تو، كيف تعامل مع هذا المرض؟

للإجابة على الأسئلة أعلاه، نحتاج أولاً إلى فهم علم الأمراض والمعرفة الطبية المتعلقة بالصداع. يقول كتاب الطب من عهد مينغ "يلين شينغمو" (النصوص الطبية حول الصداع): "الصداع السطحي والقريب من النهاية يُسمى 'صداعًا'؛ والصداع العميق والبعيد المدى يُسمى 'رياح الرأس'. يأتي الصداع فجأة ويزول بسهولة؛ أما هجمات رياح الرأس فهي غير منتظمة وتتكرر بعد الشفاء." وفقًا لشين جين آو في كتاب "زابينغ يوانليو شيزو" (الأمراض المتنوعة: أصول وتطورات الصداع)، وهو نص طبي من عهد تشينغ، تشمل أعراضه التنميل والوخز من الرقبة إلى أعلى، وبين الأذنين والعينين والفم والأنف والحاجبين؛ ثقل في الرأس؛ دوار؛ سماكة في فروة الرأس دون إحساس؛ تنميل في الفم واللسان، وفقدان التذوق؛ صمم؛ ألم في العين؛ ألم نابض فوق وتحت الحاجبين؛ حاسة شم قوية للغاية؛ أو دوار حتى مع التثاؤب. هذه الأعراض تتوافق بشكل أساسي مع أعراض الصداع المسجلة في المواد التاريخية المنسوبة إلى تساو تساو.

يُفهم أن مسبب مرض الصداع يقوم على خلل في وظائف الكبد، مع ركود الطاقة كعامل محفز، وعدم تناغم الأوعية الدموية العصبية واضطراب الطاقة والدم كأمراض رئيسية. في الواقع، بمصطلحات الطب الحديث، يجب أن يكون هذا المرض هو الألم العصبي ثلاثي التوائم (الشكل 1).

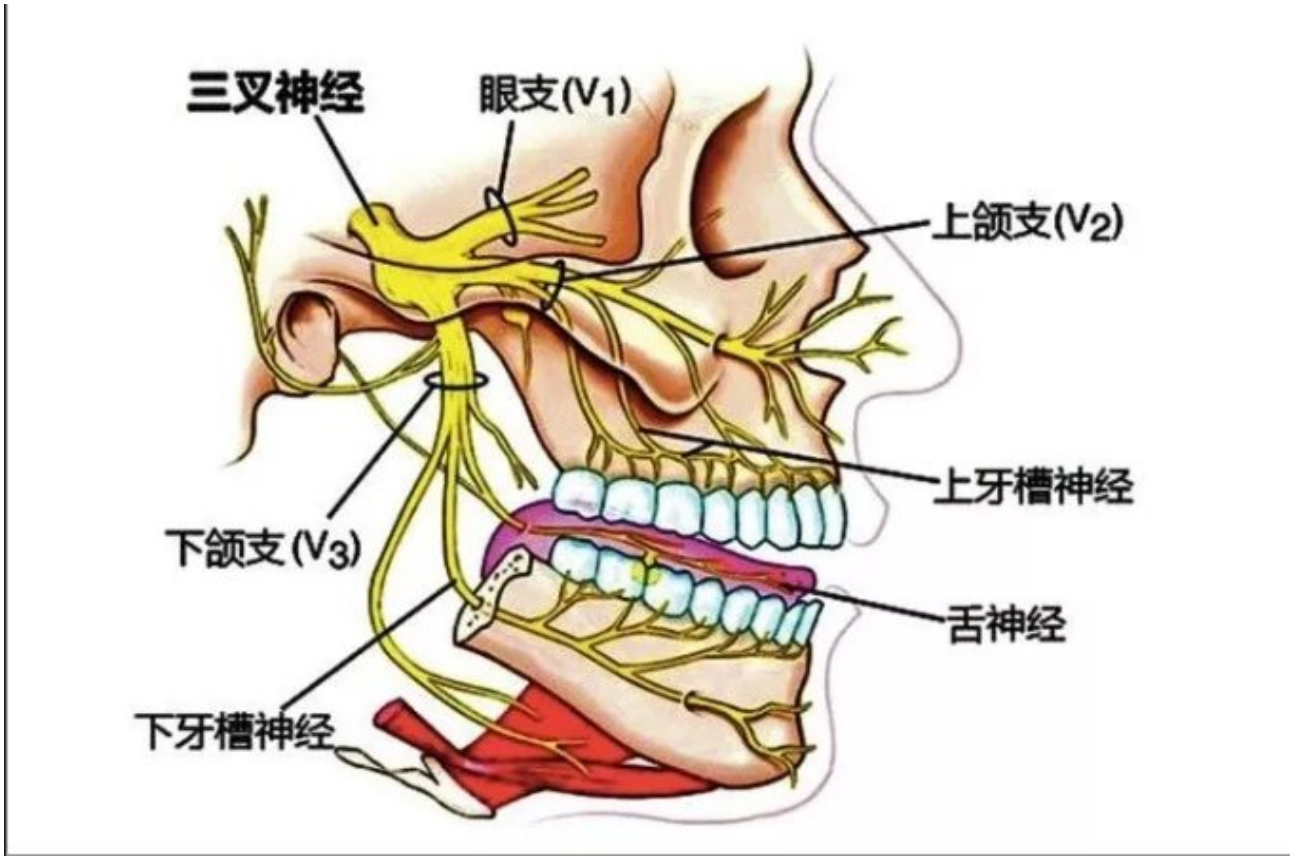

رسم تخطيطي تشريحي لتوزيع العصب ثلاثي التوائم.

- 1V: الفرع الأول
- 2V: الفرع الثاني
- 3V: الفرع الثالث

مصطلح "الصداع" ظهر لأول مرة في كتاب "تشاو يوان فانغ" المسمى "رسالة في أسباب وأعراض الأمراض المختلفة" خلال عهد سوي. يسجل الكتاب عبارات مثل "الاستلقاء على الظهر بعد تناول وجبة دسمة يؤدي إلى الصداع" و"غسل الشعر بعد تناول وجبة دسمة يسبب الصداع". يشير قسم "الرياح" في كتاب "سو وين" (الأسئلة البسيطة) إلى الصداع باسم "رياح الرأس" أو "رياح الدماغ"، كما في التسجيلات: "إذا أصابته الرياح بعد الاستحمام، فهي رياح الرأس"، "إذا صعدت الرياح على طول نقطة فنغ فو، فهي رياح الدماغ"، و"تشمل أعراض رياح الرأس التعرق المفرط للرأس والوجه والنفور من الرياح؛ وتتفاقم الحالة إذا حدثت الرياح قبل يوم من ذلك". يشير الطب الصيني التقليدي الحديث إليه باسم "الصداع" أو "الشقيقة" أو "ألم الوجه". بعبارات الشخص العادي، يُعزى السبب إلى ضعف الدورة الدموية وانسداد خطوط الطول بسبب مسببات الأمراض الخارجية أو الإصابات الداخلية (الشكل 2).

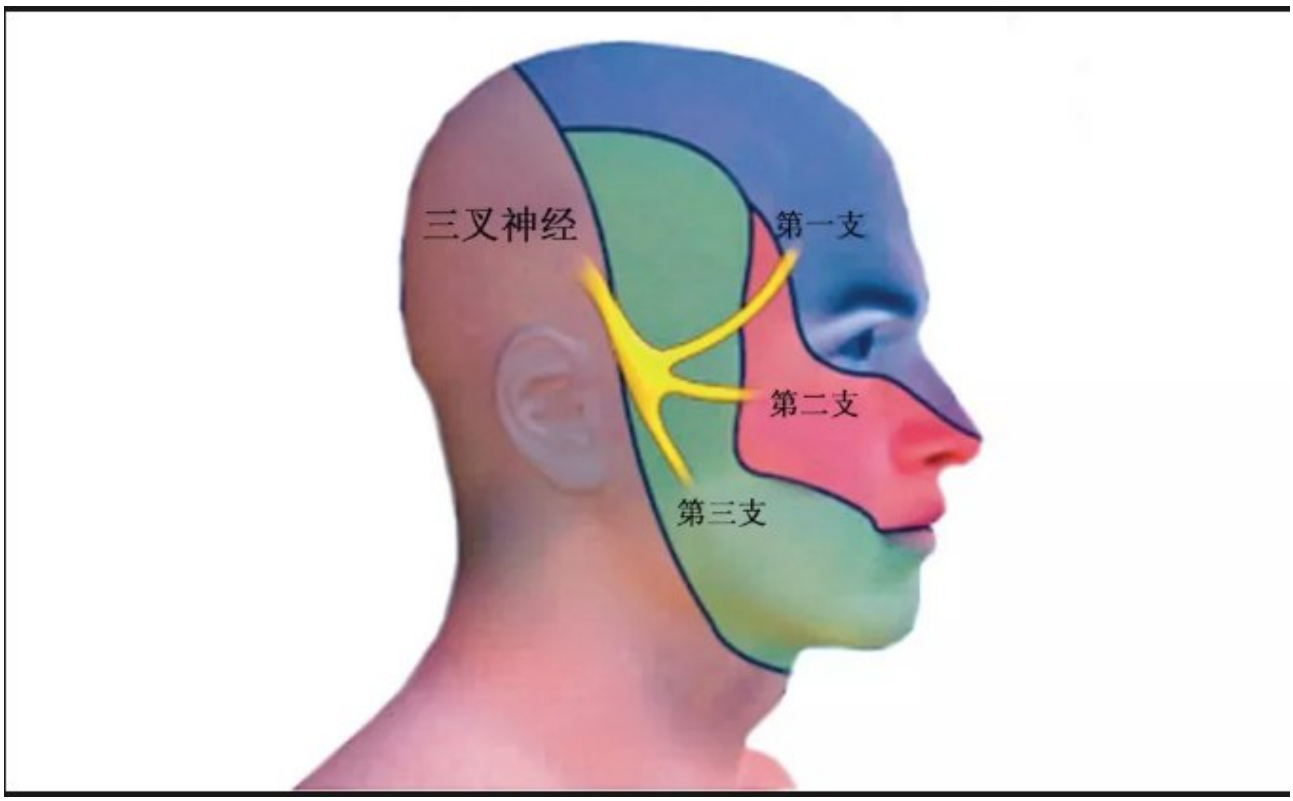

الشكل 2. منطقة توزيع العصب ثلاثي التوائم في الوجه.

كتاب "دونغيوان عشرة كتب" ينص على: "الصداع الداخلي يحدث ويتوقف بشكل متقطع؛ أما الصداع الخارجي فهو متكرر ولا يهدأ إلا عندما يتغلغل الألم بعمق في الجسم. هذا فرق آخر بين الصداع الداخلي والصداع الخارجي." يصنف الطب الحديث الألم العصبي ثلاثي التوائم إلى نوعين: أولي وثانوي. الألم العصبي ثلاثي التوائم الأولي يشير إلى الحالات التي لا يمكن فيها العثور على سبب محدد. قد يكون ناتجًا عن تصلب الشرايين الذي يضغط على العصب، أو عن سُمك السحايا، مما يضيق الفتحة العظمية التي يمر بها العصب، وبالتالي يسبب ضغطًا ويؤدي إلى الألم. أما الألم العصبي ثلاثي التوائم الثانوي فيسببه ضغط الورم، أو الالتهاب، أو التشوهات الوعائية. يختلف هذا النوع عن الألم العصبي ثلاثي التوائم الأولي، وغالبًا ما يصاحبه صداع مستمر، ويمكن الكشف عن علامات آفات هيكلية بالقرب من العصب ثلاثي التوائم (الشكل 3).

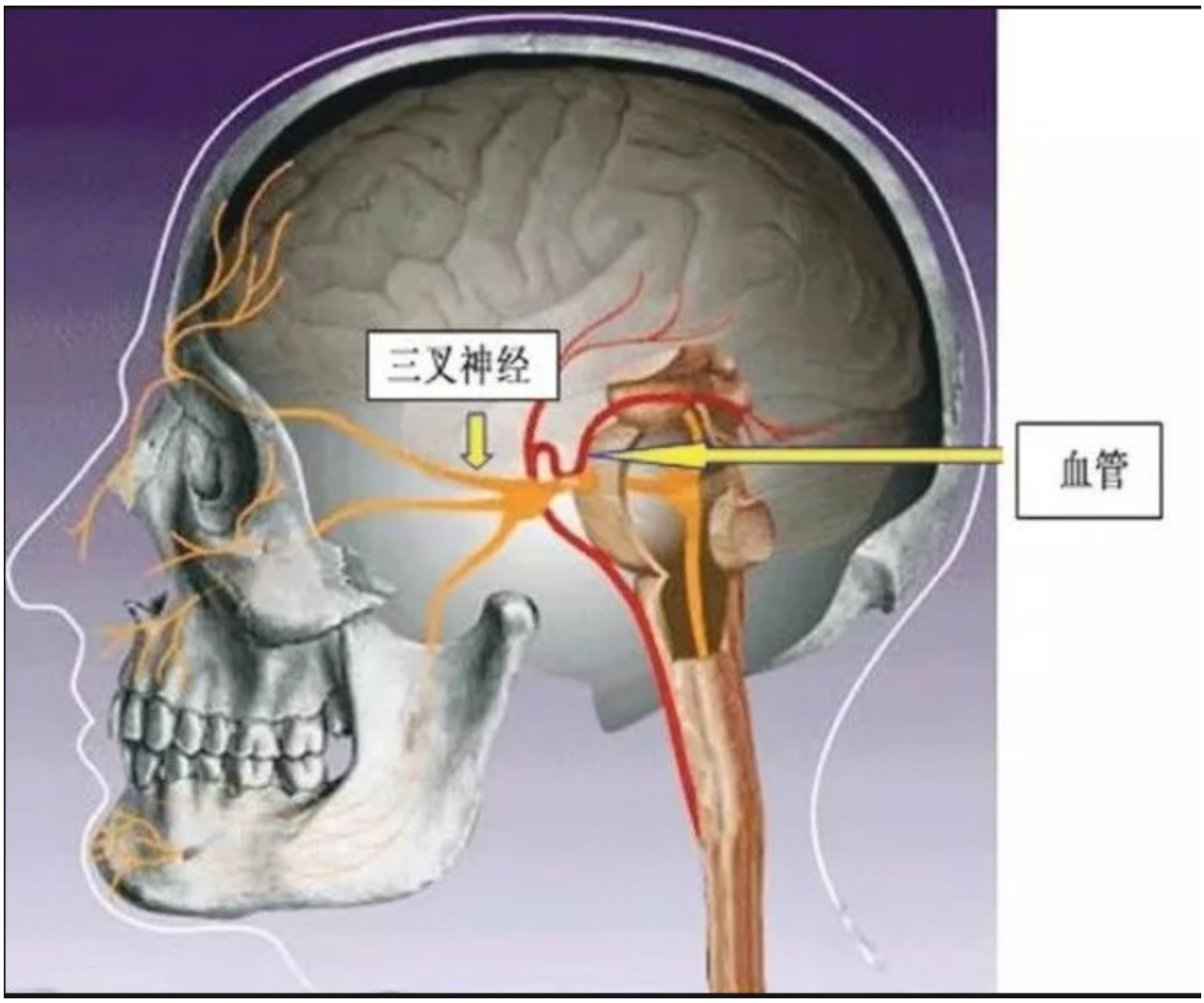

الشكل 3. منظور يوضح العلاقة بين العصب ثلاثي التوائم والأوعية الدموية.

يحدث هذا المرض غالبًا بعد سن الأربعين، وهو أكثر شيوعًا في منتصف العمر وكبار السن. تشمل الأعراض المحددة نوبات متكررة من الألم الشديد الانتيابي في منطقة توزيع العصب ثلاثي التوائم في الوجه. يتميز ببدء مفاجئ وتوقف مفاجئ، وأثناء النوبة، غالبًا ما يوصف الألم بأنه مثل الصاعقة، أو كالسكين، أو حارق، أو مستمر، ولا يُحتمل. تشمل علاجات الطب الصيني التقليدي طرد الرياح والرطوبة، وتخفيف البرد والألم؛ استرخاء العضلات والأوتار، وتعزيز الدورة الدموية وتخفيف الألم؛ تدفئة اليانغ وفتح خطوط الطول، وطرد الرطوبة والبرد؛ طرد البرد والرطوبة، وتخفيف الألم؛ طرد البرد والرطوبة، واسترخاء العضلات والأوتار؛ تدفئة خطوط الطول وفتح القنوات، وطرد الرياح والبرد؛ تدفئة اليانغ وطرد البرد، وتحلل ركود الدم وفتح القنوات، إلخ. ترتبط جميع طرق العلاج المذكورة أعلاه بطرد البرد والرطوبة وفتح خطوط الطول.

تشمل طرق الوقاية والعلاج المعتادة، من ناحية، الحفاظ على دفء الرأس والوجه لتجنب قضمة الصقيع الموضعية والرطوبة، وتجنب غسل الوجه بماء شديد البرودة أو شديد السخونة. في الوقت نفسه، من المهم الحفاظ على الاستقرار العاطفي، وتجنب الإثارة العاطفية، والتعب، والسهر، والحفاظ على حالة ذهنية هادئة، وضمان النوم الكافي. يتضمن العلاج الطبيعي أثناء النوبة تحسين الدورة الدموية المحلية، وتقليل الوذمة

والالتهاب الموضعيين، وقمع النبضات العاطفية، وتحسين تغذية الأعصاب، مما يمكن أن يحقق درجة معينة من تخفيف الألم وإدارته.

توفي تساو تساو في السنة الخامسة والعشرين من جيانآن (220 م)، وتشير السجلات التاريخية إلى أنه كان يبلغ من العمر 66 عامًا في ذلك الوقت. لذلك، يمكن استنتاج أنه في السنة الثالثة عشرة من جيانآن (208 م)، كان عمر تساو تساو حوالي 54 عامًا، أي أنه تجاوز الأربعين بكثير، وهو ما كان يعتبر سن الشيخوخة في ذلك الوقت. بحلول هذا الوقت، كان مرضه قد بدأ في التفاقم، وبالتالي زاد اعتماده على هوا تو.

بناءً على المعلومات المذكورة أعلاه، نعلم أن الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 40 عامًا هم الأكثر عرضة للإصابة بهذا المرض. لأن تساو تساو كان دائم التنقل، وكثيرًا ما كان يأكل وينام في الهواء الطلق، كان عرضة للإصابة بالبرد حتمًا. خاصة بالنظر إلى الصراعات السياسية الشديدة والبيئة السياسية الخطيرة داخل البلاط في ذلك الوقت، فإن المستوى العالي من التوتر والإرهاق زاد من خطر إصابته بهذا المرض.

علاوة على ذلك، فإن نمط حياة تساو تساو جعله عرضة للإصابة بهذا المرض. على سبيل المثال، يذكر كتاب "سجلات الممالك الثلاث، كتاب وي، سيرة الإمبراطور وو" نقلاً عن "سيرة تساو مان": "كان تساو تساو تافهًا ويفتقر إلى الكرامة. كان يحب الموسيقى، وكان الممثلون دائمًا إلى جانبه، وغالبًا ما كان يسهر طوال الليل." في حين أن هذه قد تكون طريقة له للاسترخاء، إلا أن الإهمال المطول للراحة والإرهاق الجسدي جعله حتمًا أكثر عرضة للمرض. يذكر الكتاب أيضًا مثالاً آخر: "كانت محظية مفضلة ترافقه غالبًا أثناء قيلولته النهارية، وتستخدمه كوسادة، ويقول لها: 'استيقظي قريبًا.' رأت المحظية أن تساو تساو نائم بعمق، فلم تستيقظ فورًا. عند استيقاظه، جلدها حتى الموت." قصد المؤلف استخدام هذا المثال لتوضيح قسوة تساو تساو، ولكن يمكننا أيضًا استخلاص معنى آخر: كان تساو تساو يعاني من إرهاق مزمن، ونقص حاد في النوم والراحة، ومع ذلك كان يجبر نفسه على العمل رغم إرهاقه لتحقيق طموحاته السياسية. ربما كان هذا الضغط النفسي والإرهاق المطول أحد العوامل المساهمة الكبيرة في مرضه.

لذلك، نفترض أن تساو تساو كان يعاني من هذا المرض لفترة طويلة قبل ذلك.

بناءً على السجلات التاريخية والاستدلالات المرضية، من المحتمل جدًا أن يكون تساو تساو قد أصيب بالصداع حوالي سن الأربعين.

أعراض تساو تساو وأسباب تفاقم حالته المفاجئة

يسجل كتاب "سجلات الممالك الثلاث، كتاب وي، سيرة الإمبراطور وو" نقلاً عن "سيرة تساو مان" سلوك تساو تساو الغريب وغير الطبيعي خلال حياته. على سبيل المثال، يقول: كان تساو تساو "يرتدي الحرير الخفيف، ويحمل دائمًا كيسًا صغيرًا ليحمل منديله وأغراضه الصغيرة الأخرى. أحيانًا كان يرتدي قبعة عند استقبال الضيوف. كلما تحدث أو مازح الناس، كان لا يكشف عن شيء، وعندما يضحك من القلب، كان يدفن رأسه في الأكواب والأطباق، ويوسخ منديله وعمامته. هذه كانت طبيعته غير المبالية." هنا، قصد المؤلف بشكل أساسي استخدام هذا المثال للسخرية من شخصية تساو تساو التافهة وغير المحترمة. ومع ذلك، لا نعتقد ذلك. بينما يعكس هذا السجل التاريخي سلوك تساو تساو الغريب، فإنه يكشف أيضًا حقيقة أن تساو تساو كان يعاني من الصداع. الأسباب هي كما يلي:

أولاً، كان تساو تساو سياسيًا لا يكشف بسهولة عن أمراضه الجسدية للغرباء، خشية أن يكون لذلك تأثير سلبي ويوفر فرصة لأعدائه السياسيين للطمع في منصبه وسلطته. كان هذا صحيحًا بشكل خاص خلال

الحملات العسكرية، حيث أن مرض القائد العام يؤثر مباشرة على الروح المعنوية. لذلك، من المحتمل أنه أخفى صداعه حتى السنة الثالثة عشرة من جيانآن (208 م)، عندما تفاقمت حالته. سلوكه غير المعتاد في الولائم، مثل "المزاح والتلاوة دون تحفظ، والضحك من القلب لدرجة دفن رأسه في الأكواب والأطباق، وتوسيخ ملابسه وغطاء رأسه"، ربما كان تصرفات متعمدة اتخذها عندما كان يعاني من نوبة مرضه، لصرف انتباه ضيوفه وإخفاء حالته.

ثانيًا، قول تساو تساو إنه "ارتدى قبعة لاستقبال الضيوف" يؤكد الفرضية المذكورة أعلاه، مما يشير إلى أنه كان مريضًا في ذلك الوقت. عادةً، عند استضافة الضيوف في قاعة، يجب أن يكون المضيف مرتاحًا، خاصة مع الأصدقاء الذين يمكنه "المزاح والتحدث معهم بحرية دون تحفظ". كان هذا يجب أن يكون المناسبة الأكثر استرخاءً لتساو تساو غير المتكلف، حيث كان يجب أن يخلع قبعته. في المناسبات الأكثر رسمية، كان الزي الرسمي والقبعة الرسمية مطلوبين، وستكون القبعة أقل ملاءمة. لذلك، فإن عبارة "ارتدى قبعة لاستقبال الضيوف" تعكس بدقة انزعاجه الجسدي.

ما يسمى بـ"تيماو" كان نوعًا من القلنسوة الحريرية، ابتكرها تساو تساو بنفسه. يذكر كتاب "سجلات الممالك الثلاث، كتاب وي، سيرة الإمبراطور وو" نقلاً عن "فو زي": "بسبب المجاعة وندرة الموارد، استوحى الإمبراطور تايزو من قبعة الجلد القديمة، فقطع الحرير لصنع التيماو، والتي كانت بسيطة وقابلة للتكيف مع العصر. كان لونها يفرق بين النبلاء والعامة. تطبيقها اليوم هو مسألة مظهر عسكري، وليس مظهرًا وطنيًا." لأن هذه القلنسوة كانت مصنوعة من الحرير الناعم، كانت مريحة جدًا ومناسبة للارتداء، ويمكن أن تخفف من صداعه. بعد اكتشاف هذا التأثير الرائع، روج لها في الجيش.

كان تساو تساو يعاني دائمًا من الصداع، وكان خفيفًا في البداية ويمكن علاجه. ومع ذلك، بحلول عام جيانآن 13 (208 م)، تغير الوضع بشكل كبير. وذلك لأنه كان قد قضى بالفعل على منافسيه الشماليين الأقوياء، مجموعة يوان شاو ووخوان، ووحّد الشمال. لغزو ليو بيو وسون تشوان وليو بي في الجنوب وتوحيد البلاد بأكملها، كان بحاجة إلى تركيز موارد الأمة. لذلك، كان تعزيز السلطة المركزية، وتركيز السلطة العسكرية والسياسية في يديه لإزالة العقبات، قد أصبح أولوية. خطط تساو تساو بعد ذلك لإلغاء نظام الدوقات الثلاثة واستبداله بنظام المستشارية، بهدف تركيز كل السلطة السياسية في يديه. هذا هدد المصالح القائمة للعديد من المسؤولين وجعل أولئك الموالين لأسرة هان حذرين، وبالتالي واجه معارضة من العديد من الوزراء، بمن فيهم كبير استراتيجييه وثقته شون يو. بعد صراعات عديدة، نجح في النهاية.

لدينا سبب للاعتقاد بأن هذه العملية لا بد أنها كانت مثيرة وموترة للأعصاب، مما وضع تساو تساو تحت ضغط هائل وربما فاقم صداعه. لهذا السبب بحث تساو تساو عن هوا تو لعلاجه، وجعله طبيبه الشخصي. خلال هذه الفترة، كانت تحركات هوا تو مقيدة بشدة؛ حتى العودة إلى المنزل كانت تتطلب منه طلب إجازة من تساو تساو.**

هوا تو، لقطة من المسلسل التلفزيوني "رومانسية الممالك الثلاث"

السبب الحقيقي وراء مقتل هوا تو

بناءً على التكهن أعلاه، ربما كان مرض تساو تساو خفيفًا نسبيًا لفترة طويلة من الزمن. في كل مرة كان يمرض، كان يستدعي الطبيب الأسطوري هوا تو لإجراء الوخز بالإبر، وكان هوا تو قادرًا على علاجه "فورًا". لذلك، كان هوا تو لا يزال يتمتع بحرية التنقل وعلاج الناس في ذلك الوقت.

بناءً على سجلات "كتاب هان اللاحقة" و"سجلات الممالك الثلاث"، فإن الفترة التي قضاها هوا تو حقًا إلى جانب تساو تساو، لعلاج صداعه حصريًا، لم تكن طويلة جدًا على الأرجح. إذن، عندما كان تساو تساو مريضًا بشدة وكان في أمس الحاجة إليه، لماذا أصر هوا تو على العودة إلى المنزل؟ هل كان السبب بهذه البساطة حقًا مثل "الرغبة في العودة إلى المنزل مرة أخرى" أو "الحنين إلى الوطن بعد غياب طويل"، أو مجرد طلب إجازة للعودة إلى المنزل بعد تلقي رسالة من المنزل؟

بعد عودة هوا تو إلى المنزل، حثه تساو تساو مرارًا على العودة إلى العاصمة. لماذا أصر على عدم العودة وقدم أعذارًا متكررة لتأخير عودته؟

لا نعتقد أن ذلك كان لأنه "كان شرير الطبع، صعب الإرضاء، ويستحي أن يكسب لقمة العيش كطبيب، واشتاق للعودة إلى المنزل" (من "سيرة هوا تو" في "كتاب هان اللاحقة") أو "اعتمد على مهاراته وكره العمل، ومع ذلك لم يتبع الطريق الصحيح" (من "سيرة هوا تو" في "سجلات الممالك الثلاث"). إذن، ما هو السبب الحقيقي؟

في الواقع، يمكننا العثور على إجابة هذا السؤال في السجلين التاريخيين المذكورين أعلاه. ينص "سجلات الممالك الثلاث، كتاب وي، سيرة هوا تو" على أنه بعد فحص حالة تساو تساو، قال هوا تو: "هذا صعب العلاج في المستقبل القريب؛ فالعلاج المستمر يمكن أن يطيل حياته." بعبارة أخرى، بعد الفحص الدقيق، قرر أن صداع تساو تساو كان خطيرًا جدًا ولا يمكن علاجه في وقت قصير، وبالتالي بدأ يشعر بالخوف. هنا، نكهن أن تساو تساو كان يعاني من الألم العصبي ثلاثي التوائم الأولي، وهو السبب الذي لا يزال غير معروف حتى اليوم، وفي ذلك الوقت كان من المستحيل فهم أصوله. لذلك، لأن هوا تو لم يستطع العثور على السبب الجذري لمرض تساو تساو وكان حائرًا بشأن ما يجب فعله، خوفًا من أن يُلام ويعاقب من قبل تساو تساو لعدم قدرته على علاجه، اختلق عذرًا ليصر على العودة إلى المنزل لتجنب المسؤولية. وفقًا لـ "كتاب هان اللاحقة، سيرة هوا تو"، كان سبب طلب هوا تو للإجازة هو "طلب العودة إلى المنزل لجلب الوصفات"، وبطبيعة الحال منح تساو تساو إجازته وسمح له بالعودة إلى المنزل. ومع ذلك، عند عودته إلى المنزل، وبنفس السبب، "ادعى تو أن زوجته مريضة ولم يعد لعدة أسابيع" (سيرة هوا تو، كتاب هان اللاحقة). لقد عصى الأوامر علنًا، متلكئًا ومتوقعًا تغير الظروف، محاولاً خداع السلطات. تساو تساو، الذي كان قد علق آمالاً لا حدود لها على هوا تو، لم يستطع تحمل هذا السلوك. لذلك، أرسل مرارًا رسلاً لحثه على العودة، بل وأمر رؤساء حكومات المقاطعات والمحافظات بالإشراف عليه.**

صورة كرتونية لتساو تساو

صورة كرتونية لتساو تساو

إن معاملة تساو تساو لهوا تو لم تكن اعتباطية كما هو مصور في "رومانسية الممالك الثلاث"، حيث يُزعم أن تساو تساو، بسبب صغره وخوفه من نوايا هوا تو، أعدمه لأن هوا تو اقترح إجراء عملية فتح الجمجمة.

السبب الحقيقي كان أن هوا تو اختلق عذرًا لخداع تساو تساو، وهو أمر وجده تساو تساو غير محتمل على الإطلاق.

قبل أن يقرر اعتقال هوا تو، كان تساو تساو حذرًا للغاية، ومر بعملية معقدة. بدأ بكتابة العديد من الرسائل لحث هوا تو على العودة إلى العاصمة، مما يدل على اعتماده عليه. وعندما لم يتلق ردًا، أرسل مسؤولي المقاطعات لحثه، مما يظهر مدى تقدير تساو تساو له. لاحقًا، عندما لا يزال هوا تو يرفض السفر، لم يستعجل تساو تساو في اعتقاله. بدلاً من ذلك، أرسل أولاً أشخاصًا إلى مسقط رأس هوا تو للتحقيق فيما إذا كانت زوجته مريضة حقًا أم أن هوا تو كان يخدعه عمدًا. قبل الانطلاق، وجه المحققين تحديدًا بأنه إذا وجدوا أن زوجة هوا تو مريضة بالفعل، فيجب منحهم "أربعين مكيالاً من الفول وإجازة ممتدة"؛ وإذا وجدوا أنه كان يخدعهم عمدًا، فيجب اعتقاله. من هذه العملية، من الواضح أن تساو تساو عامل هوا تو بأقصى درجات اللطف والمراعاة؛ لا يمكن القول إنه تصرف بتهور.

لسوء الحظ، تم اكتشاف أكاذيب هوا تو في النهاية من قبل مبعوث تساو تساو، وتم اعتقال هوا تو وسجنه في شوتشانغ. عند هذه النقطة، لم يأمر تساو تساو بإعدامه بتهور، بل أجرى محاكمة دقيقة. فقط بعد أن اعترف هوا تو بجرائمه، قرر الأمر بإعدامه.

نحن بحاجة هنا إلى فهم أنه في المجتمع الصيني الإقطاعي، كان المرؤوسون تابعين لرؤسائهم ولم تكن لهم حرية حقيقية. لذلك، كان خداع الرؤساء جريمة خطيرة، خاصة خداع شخص رفيع المستوى وذي سلطة مثل تساو تساو. كانت شدة العقوبة تعتمد كليًا على تساو تساو نفسه. وهذا يفسر سبب توسل شون يو من أجل حياة تساو تساو، لكن تساو تساو رفض. وبالتالي، فإن إعدام تساو تساو لهوا تو لم يكن، كما هو مصور في "رومانسية الممالك الثلاث"، بدافع الغيرة والانتقام. السبب الحقيقي والأساسي كان أن هوا تو خدعه، وارتكب جريمة خطيرة تتمثل في خداع الإمبراطور. كان هذا هو السبب الحقيقي لإعدام هوا تو. في مواجهة تطبيق تساو تساو الصارم للقانون، كان موته حتميًا.**

مشهد اكتشاف جمجمة تساو تساو عند نبش قبره

جمجمة تساو تساو التي تم اكتشافها من قبر تساو تساو

ما هي الاكتشافات الأثرية التي تمت؟ وماذا أثبتت الدراسات؟ وما كان السبب الحقيقي لصداع تساو تساو؟

الاستنتاجات المذكورة أعلاه ما هي إلا استدلالات منطقية مبنية على السجلات التاريخية ذات الصلة. إذن، في العمل الأثري الفعلي، هل وجدنا أي دليل متعلق بصداع تساو تساو في ضريحه؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو هذا الدليل؟

الجواب هو نعم. في قبر تساو تساو، اكتشفنا أولاً لوحًا حجريًا عليه نقش "قو تشن يي" (الشكل 4). في ذلك الوقت، كنا نعتقد بوجود وسادة، لكن مادتها كانت غير معروفة. بالنسبة لمعنى "قو تشن"، فمن المحتمل أنه يشير إلى شكل الوسادة. استنادًا إلى المعنى الأصلي للحرف "قو"، هناك تفسيران محتملان: الأول هو أنه يعني كبير، مما يعني قناة كبيرة، مما يشير إلى أن الوسادة كانت كبيرة جدًا؛ والمعنى الآخر المحتمل هو أن الوسادة بها انبعاج في المنتصف، مثل قناة (الشكل 5).**

الشكل 4: لوح حجري مكتوب عليه "قو تشن 1"

لاحقًا، استعادت الشرطة وسادة حجرية من لصوص القبور. كانت الوسادة مستطيلة الشكل، وفي وسطها تجويف منحنٍ، كبير بما يكفي ليلائم رقبة الشخص. كُتب سطر من النص بشكل عمودي على الظهر: "حجر كثيرًا ما استخدمه ملك وي وو لراحة رقبته" (الشكل 6). بناءً على تحديد لصوص القبور للموقع، ومحتوى النقش، والخط، والصياغة، كانت مطابقة لـ "الحربة الكبيرة التي كثيرًا ما استخدمها ملك وي وو لقتل النمور" التي تم اكتشافها في قبر تساو تساو. لذلك، تم تأكيد أن هذه الوسادة الحجرية قد تم اكتشافها من قبر تساو تساو. عند رؤية هذه الوسادة الحجرية، فهمنا أخيرًا المعنى الحقيقي لمصطلح "وسادة قو" - إنه يشير إلى شكلها. علمنا أيضًا أن الوسادة كانت مصنوعة من الحجر. هذا أثار حيرتنا إلى حد ما، حيث تظهر البيانات

الأثرية أن الوسائد المكتشفة في المقابر غالبًا ما تكون مصنوعة من اليشم أو البورسلين، ونادرًا ما تكون من الحجر. علاوة على ذلك، لم تكن هذه الوسادة الحجرية جميلة المظهر وكانت تظهر عليها علامات التآكل والتمزق، مما يشير بوضوح إلى أنها استخدمت خلال حياته وليست مصنوعة خصيصًا للدفن. بعد التشاور مع خبراء ذوي صلة، أخبرونا أن الوسائد الحجرية لها تأثير مهدئ، خاصة عند تسخينها بالماء الدافئ. وضع الرقبة على وسادة حجرية يساعد على فتح خطوط الطول في الرقبة. هذا، إلى جانب السجلات التاريخية التي تفيد بأن تساو تساو كان يعاني من الصداع خلال حياته، جعل من الواضح أنه استخدم هذه الطريقة لتخفيف آلامه. بمعنى آخر، لأكثر من عقد بعد إعدام هوا تو، اعتمد تساو تساو على هذه الوسادة الحجرية لتخفيف صداعه، مما يؤكد السجل التاريخي بأن تساو تساو كان يعاني بالفعل من الصداع خلال حياته.

الشكل 5. منظر أمامي للوسادة الحجرية

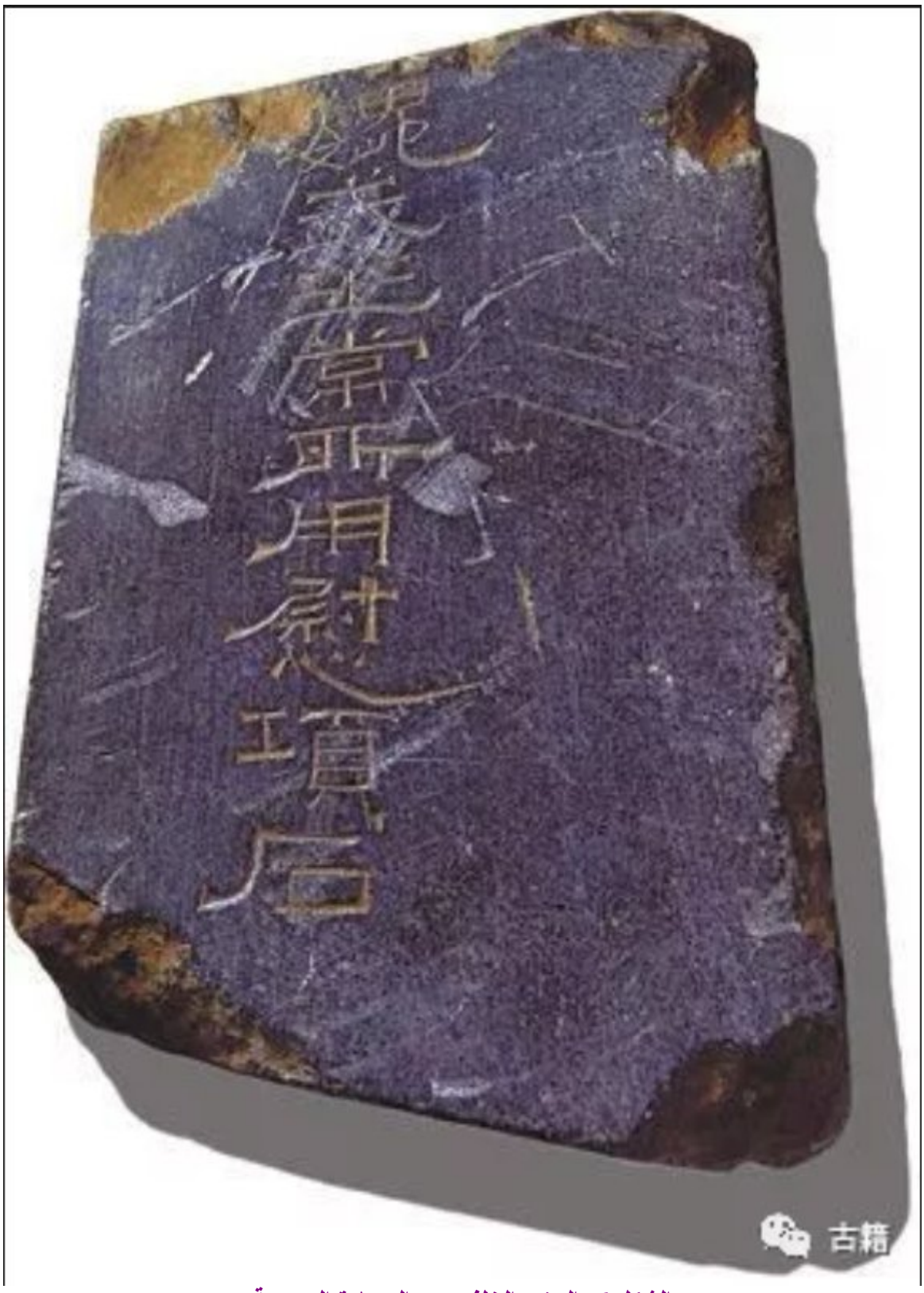

الشكل 6. الجزء الخلفي من الوسادة الحجرية

**ظاهرة مثيرة للاهتمام هي أن اسم الوسادة الحجرية في النقش على اللوح الحجري غير متسق مع النقش الموجود على الوسادة الحجرية نفسها. النقش على اللوح الحجري يقرأ "قو تشن يي" (渠枕—)، بينما الاسم على الوسادة الحجرية هو "وي شيانغ شي" (慰项石). نعتقد أن هذا يشبه الملصق على زجاجة

الدواء اليوم؛ أحدهما يشير إلى الاسم الرسمي، بينما الآخر قد يصف وظيفتها. الاسم الرسمي لهذه الوسادة الحجرية يجب أن يكون "قو تشن"، ووظيفتها هي "وي شيانغ شي" (حجر راحة الرقبة).

إذن، ما الذي سبب صداع تساو تساو بالضبط؟ هل تكهناتنا المذكورة أعلاه صحيحة؟

أثناء فحص رفات تساو تساو، اكتشفنا أخيرًا سبب صداعه. وجدنا أن أسنان تساو تساو كانت متسوسة بشدة، حيث كانت العديد من الأسنان مجوفة بالكامل تقريبًا، وتآكلت التيجان بالكامل تقريبًا، بل وفُقد الجزء العلوي من غرفة اللب، مما أدى إلى كشف اللب مباشرة وإتلافه. علاوة على ذلك، كانت هناك ثقوب تمتد إلى أسفل الجذر. الأسنان الأخرى التي كانت محفوظة جيدًا نسبيًا أظهرت أيضًا تآكلاً كبيرًا، مع عدم وجود مينا تقريبًا وامتداد التسوس إلى اللب (الشكل 7). بناءً على ذلك، قررنا أن هذا كان على الأرجح السبب الرئيسي للألم العصبي ثلاثي التوائم لتساو تساو (الشكل 8).**

حالة تلف جمجمة تساو تساو

الشكل 7: أسنان تساو تساو (منظر أمامي)

الشكل 8: منظر جانبي لأسنان تساو تساو

للتحقق من هذه الفرضية، استشرنا خبراء أسنان موثوقين في جامعة الطب العسكري الرابعة. أكدوا هذا التقييم، موضحين أن العصب ثلاثي التوائم له ثلاثة فروع: واحد في الصدغ، والآخر حول الأنف، والثالث حول الفك. يتطلب الألم العصبي ثلاثي التوائم نقطة تحفيز؛ بمجرد تحفيزها، سيحدث بشكل متقطع ويصعب علاجه لأن الأعصاب مترابطة. عندما يتطور تسوس الأسنان إلى مرحلة متأخرة، مما يسبب التهاب لب السن، يمكن أن يؤدي ذلك إلى تحفيز الألم العصبي ثلاثي التوائم. بعبارة أخرى، كان صداع تساو تساو ناتجًا عن تسوس الأسنان.

في الختام، عانى تساو تساو بالفعل من الصداع خلال حياته، ومن المحتمل أنه بدأ حوالي سن الأربعين. حوالي عام جيانآن 13 (208 م)، تفاقمت حالته، مما أدى إلى معاقبة هوا تو. يُعتقد أنه بعد فترة وجيزة، شكلت الوفاة المفاجئة لابنه الحبيب تساو تشونغ ضربة قاسية لحالته النفسية، مما فاقم مرضه. لتخفيف معاناته، استخدم تساو تساو هذه الوسادة الحجرية لأكثر من عقد بعد وفاة هوا تو.

إن تأكيد أن تساو تساو عانى من الصداع خلال حياته لا يدعم السجلات التاريخية فحسب، بل يكشف أيضًا عن سبب مرضه، مما يمثل بلا شك إنجازًا مهمًا آخر في دراسات تساو تساو.**

بيان حقوق النشر ومعلومات المؤلف:

العنوان الأصلي لهذه المقالة كان: استكشاف أسباب صداع تساو تساو وقتله لهوا تو.

بعض الصور في هذه المقالة تم توفيرها من قبل السيد بان ويبين، و© متحف طوكيو الوطني، وما إلى ذلك، عبر حساب زانوان الرسمي على وي تشات.

انتماء المؤلف: معهد خنان الإقليمي للآثار الثقافية وعلم الآثار، مدرسة تشنغتشو رقم 47 الثانوية (فئة هونغ تشي)

نُشرت هذه المقالة أصلاً في مجلة "النهر الأصفر، هضبة اللوس، العرق الأصفر".

تمت إعادة نشر هذه المقالة بإذن من السيد بان ويبين.

بان ويبين، وانغ تشونغ جيه. تحقيق في أسباب صداع تساو تساو وقتل هوا تو. النهر الأصفر. اللوس. العرق الأصفر، (X8):53-47.

المؤسسة: معهد خنان الإقليمي للآثار الثقافية وعلم الآثار، مدرسة تشنغتشو رقم 47 الثانوية - فئة هونغ تشي

الملخص: وفقًا للسجلات التاريخية، عانى تساو تساو من الصداع خلال حياته، وهو مرض عذّبه وأحدث له معاناة لا تنتهي في سنواته الأخيرة. في محاولة منه لعلاج صداعه، يُقال إنه قتل الطبيب الشهير هوا تو في نوبة غضب. قوبلت هذه الرواية بالتشكيك؛ فما إذا كان تساو تساو يعاني بالفعل من الصداع وما إذا كان قد أعدم هوا تو بالفعل لهذا السبب لا يزال لغزًا تاريخيًا. لحسن الحظ، فإن الحفريات الأثرية في ضريح تساو تساو

قد حلت هذه المسألة إلى حد كبير، ليس فقط بإثبات أن تساو تساو كان يعاني بالفعل من الصداع، بل أيضاً بتحديد السبب الحقيقي لمرضه.**